مأوى المدرسي

عن الإمام علي

"عليه السلام"

الكلمة الطيبة

BP
٣٧
/٤
/م٤
٤٩

www.haydarya.com

عن

الإمام علي

عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

دار الطيبة

عن

الإمام علي

"عليه السلام"

هادي المدرسي

الطبعة الطيبة

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٨٠٦٢
التاريخ ٢٠٠٩/٣/٢٩

٣٧/
/٣
ع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
.....

صدق الله العلي العظيم

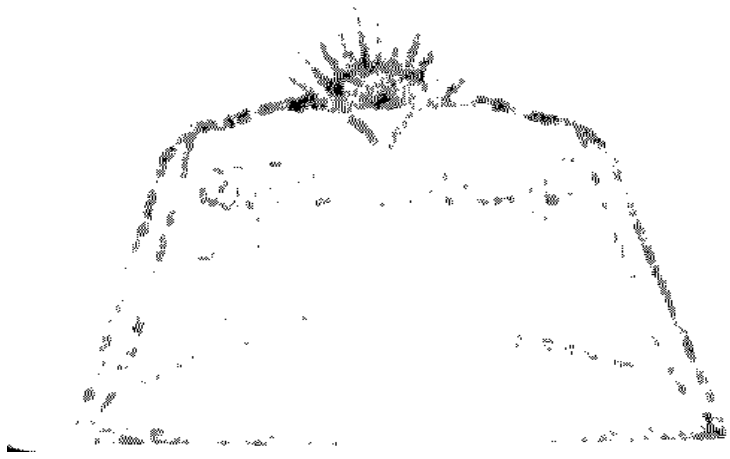

النجف الاشرف

الوجه الآخر
للإمام علي

. . هل للإمام علي وجه آخر؟
هل له وجهان؟
لا!

الامـام علي لـه وجـه واحـد ليس أكـثر . ولكننـا ـ مـع الأسف ـ ضيّعنا صورته الحقيقية، ورسمنـا له صـورة أخرى تطابق وجوهنا نحن ، فكان له وجه آخر . .

رسمنـا له صـورة العابـد ، الزاهـد ، الصامت، الـذي يقضي ليله بـالصلوات والـدعـاء، ويقضي نهاره بـالصـوم وقراءة القرآن . وهو إذا أساء اليـه أحد عفـا عنه ودعـا له ، ويكتفي من دنيـاه بطمـرية ومن طعمـه بقرصيـة ، وما عـدا ذلك يطلقه ثلاثاً لا رجعة فيه .

أما فضائله فهي : انه ولد في الكعبة، وقتل في المحراب ونزلت فيه آية التصدق، وقال رسول الله : «عليّ مني وأنا من علي . . . » .

تلك هي الصورة . .

وهذه هي الألوان . .

ولا شيء غير ذلك!

* * *

ونتساءل: أين صورة « الامام المقاتل » الذي خاض أكثر من ستين حرباً، ولم يكن لديه أي مانع من أن يُقاتل جيشاً كاملاً إذا تعدّى ـ هذا الأخير ـ على مظلوم واحد حتى يأخذ حقه منهم ؟

وأين صورة « الامام ـ المقاوم » لكل أشكال الظلم ، والاستغلال ، والاحتكار ، والاستعباد ؟

وأين صورة « الامام ـ المحرر » الذي عاش بين الفقراء وضد الفقر ، ومع المحرومين وضد الحرمان ، ومع الجماهير وضد الطغاة ؟

أين صورة « الامام ـ الثورة الدائمة »؟ .

وأين . ؟ وأين . ؟

كل هذه الزوايا منسية في رسم صورة الامام ، لسبب بسيط، هو أننا بعيدون عنها ، أي اننا رسمنا صورة للامام

تشابه صورنا ، ولم نرسم صورة الامام نفسه . .

وتلك هي مأساة الامام بعد وفاته . .

* * *

ويتساءلون : هل يعني هذا الكلام أن الامام علي : لم يكن العابد الزاهد الذي يقوم الليل ويصوم النهار ؟

والجواب : كلا ، لا أعني ذلك!

ولكنني أعني أن زهد الامام لم يكن سلبية انعزالية ، بل كان ثورة ايجابية ، ونضالاً دائماً من أجل رفع الحيف والظلم وتحرير الانسان ، واثارة العقول . .

تماماً كما أن عبادته كانت اقتراباً من الله ،ورفضاً للطغاة والظالمين . .

كانت عبادته تحملاً للمسؤ ولية، وليس هروباً عنها .

وكان زهده عطاء للناس ، وليس ابتعاداً عنهم .

كان الخلق عنده « عيال الله » فكان أحبّ عمل اليه هو الاحسان اليهم . .

ألم يقل الرسول الأعظم :

ـ «الخلق كلهم عيال الله، وأحبّهم اليه انفعهم لعياله»؟

من هنا اغتسل الامام بالألم والعذاب، وتعرّض لعواصف الجرح والتهم، وبقي ـ رغم ذلك ـ مخلصاً في العطاء، صامداً في وجه الباطل.

وخلال حياته كلها لم يتقاعس عن الواجب ولا انعزل عن الحياة، بقي المتفاعل أبداً في الأحداث والمساهم الرئيسي في صناعتها..

* * *

تلك بعض الملامح من «الوجه الآخر للامام علي» (ع).

ثورة الإسلام
ثورة الإمام

سمات الثورتين :

جوهر الإسلام انه ثورة شاملة ، تستهدف وضع علاقات الانسان ـ مع الحياة والاحياء ـ في وضعها الطبيعي . .

ولذلك فإن الإسلام يؤكد حق الإنسان في الحياة وفي الحرية،بل ان اساس الثواب والعقاب فيه هو فرصة متكافئة لكل انسان. فكل فرد يبدأ حياته امام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيه أعماله باختياره الحر، ولا يرضى الإسلام بطبقة تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم . فالله ـ تعالى ـ وضع الفرص المتكافئة أمام البشر اساساً للعمل في الدنيا وللحساب في الآخرة. .

هذه هي رسالة الإسلام السامية التقدمية . وهي رسالة تغييرية شاملة. .

ولكن بما ان أي تغيير فردي أو اجتماعي ، يستلزم وجود «مناخ ثوري» يقوم على تحرير الانسان ، فإن الإسلام جعل هدفه الأول ، تحرير الفرد من عوامل الضعف ، وتحرير المجتمع من عوامل الضغط . .

يقول الله تعالى عن مهمة النبي :

ـ ﴿الذين يتبعون الرسول ـ النبي الأمي ـ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل : يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحلّ لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ . . .

ويقول أيضاً :

ـ ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . . ﴾ .

وهكذا فإن هدف الإسلام هو : ان يمنع المنكر ، ويحرم كل خبيث يضر بالفرد أو المجتمع ، وقبل ذلك تحرير الفرد والجماعة من عوامل الضعف أو الخوف . .

ولهذا جاءت « التزكية » ـ التي تعني التربية الثورية ـ

قبل «التعليم» في واجبات النبي.. كما كان فك الأغلال ـ المعنوية والحديدية ـ واجباً من واجباته!

* * *

وثورة الإسلام جماهيرية.. تخاطب «الناس» ـ وهم الأكثرية ـ وتسعى لتحقيق الرفاهية والسعادة للجميع..

ولذلك أصبحت خدمة الجماعة، فوق اقامة الشعائر الدينية، كما يقول النبي (ص):

-«... إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام».. لأن «اصلاح ذات البين» قضية جماعية، بينما الصلاة والصيام قضيتان فرديتان على الأكثر..

ولذلك ـ أيضاً ـ اعتبر العمل في سبيل معاش الناس أفضل من العمل لاقامة الطقوس العبادية..

وقد جاء في الحديث عن ابن عباس قوله:

«كنا مع النبي في سفر، فمنا الصائم، ومنا المفطر، فنزلنا منزلاً في يوم قيظ، وكان أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، فمنا من يتقي الشمس بيده، فسقط الصوام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال الرسول: لقد ذهب المفطرون بالأجر كله»!

فالصوم ـ كأية عبادة ـ ليس هدفاً، انه وسيلة إلى تزكية النفس ومن ثم الارتفاع فوق الشهوات من اجل العطاء للناس ، اذاً فالعطاء هو الهدف، والعبادات وسائل وطرق اليها. . .

من هنا نجد انه عندما رأى اصحاب النبي رجلاً قوياً شديد البنية، صلب العضلات. يمشي فتمنوا لو انه وجه هذه القوة وصرف هذه الشدة في الجهاد في سبيل الله ـ وكانوا يظنون ان سبيل الله يناقض ـ أو على الأقل ـ يختلف مع سبيل الناس ـ ينهرهم النبي ،ويقول لهم :

ـ «إن كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله! وان كان خرج يسعى على صبية له صغار فهو في سبيل الله! وان كان خرج يسعى على زوجة يعفها عن الحرام فهو في سبيل الله! وان كان خرج يسعى على نفسه يمنعها السؤال فهو في سبيل الله ! ».

. . . ولأن ثورة الإسلام جماهيرية ، لذلك كانت الأرض للجميع : ﴿ والأرض وضعها للانام ﴾. وخيراتها هي ملك الجماهير وليس الأفراد : ﴿ وخلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾. ومن حق الجميع أن يأكلوا من الأرض ما يحتاجون اليه وليس لأحد أن يمنعهم من ذلك : ﴿ هو

الـذي جعل لكم الأرض ذلـولاً، فامشـوا في مناكبهـا وكلوا من رزقه ﴾.

ولا يجـوز بأي شكـل من الأشكال أن تحتكـر فئـة ، أو قبيلة خيـرات الأرض.فقـال عن الاحتكـار : « من احتكـر فهـو خاطيء » وقـال عن الاقطاع: « من ظَلم من الأرض شيئـاً طُوقـه من سبع أرضـين » وقـال عن استغـلال جهـود الآخـرين : « من اقتطع مـال امـرىء مسلم بغـير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » .

ومنـع الإسـلام « التـرف » ومـا يعنيـه من العيش عـلى الكماليات في الـوقت الذي يعيش العشـرات على العـوز في حاجاتها الأساسية .

واعتبـر المتـرفـين : المسؤولين الـرئيسيـين عن خـراب البلاد. وقال :

ـ ﴿ وإذا أردنـا أن نهلك قـريـة، أمـرنـا متـرفيهـا (لأن المتـرفـين في هــذه الحـالــة هم المسؤولـون عن وقــوع أيـة تنـاقضـات في المجتمـع) ففسقـوا فيهـا فحقّ عليهـا القـول فدمرناها تدميراً ﴾. !

وطـالب أن ينصبّ جهـد أي عــامـل في مصلحتــه ،

وقال : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وقال : ﴿ وان ليس للانسان إلا ما سعى ﴾ بنفسه ، وليس له سعي الآخرين . وقال : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون ﴾.

وحرّم في سبيل المصلحة العامة : الربا/ والغش/ وأكل اموال الأيتام/والاستئثار بما الناس فيه أسوة/والتعدي على حقوق العباد. .

وجعل الناس شركاء في ثلاث: في الماء. والكلأ. والنار. بل وحرّم أن يعيش الإنسان مكفياً في حاجياته ما دام هنالك « من يحتاج » فقال النبي (ص): « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع »!

واعتبر جوهر الدين التعامل القائم على العدل، فقال النبي: «الدين: المعاملة ».

وأعطى لأموال الجماهير قداسة كبيرة ، حتى اعتبر السارق لهذه الأموال ممن تحبط طاعاته. . .

فقد جاء في الحديث:

ـ كان في صحابة رسول الله رجل عزيز عليه، يدعى

«رفاعة بن زيد»، أصيب في أحد الغزوات بسهم قاتل، فوفد على النبي الوافدون يعزونه بمقتل رفاعة ، قائلين : « هنيئاً له ، يا رسول الله لقد ذهب شهيداً » . . .

فأجابهم النبي بأسى بالغ :

ـ « كلا ! ان الشملة التي أخذها من المغانم يوم خيبر لتشتعل عليه ناراً ! ».

لقد مات رفاعة شهيداً، ومع ذلك فهو آثم لأنه أخذ شيئاً قليلاً ـ عبارة عن مجرد شملة ـ من مال الجماهير اختلاساً . .

* * *

وثورة الإسلام : لا طبقية ، ولا عنصرية ، ولا طائفية . الناس فيها سواسية كأسنان المشط ـ كما يعبر النبي . .

والكل من أب واحد، وأم واحدة، وكل الناس مكرّمون لدى الله ، فكلهم عبيده . .

يقول القرآن :

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر،

ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلاً . . ﴾

ويقول الرسول :

« أيها الناس . . إن ربكم واحد، وان أباكم واحد، ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على احمر فضل إلا بالتقوى ! ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

أما التقوى فتعني الالتزام بمباديء الحق والعدل والخير، والحب، والحذر من مخالفتها .

ومن التقوى : الاحسان ، والمسالمة مع الجماهير.

يقول النبي :

ـ « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه »!

ويقول :

ـ « أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً »!

وأفضل الإسلام هو ما ينتج منه العطاء للآخرين .

يسأل أحدهم رسول الله : « أي الاسلام خير »؟

فيقول له :

ـ « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »!

* * *

وثورة الاسلام تقدمية، ترفض الجمود ، وترفض التراجع : المؤمن فيها يجب أن يكون في تقدم يومي وإلا كان الموت أولى به . .

يقول الحديث الشريف :

« من استوى يوماه فهو مغبون »!

« ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون»!

« ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو الى نقصان ، ومن كان إلى نقصان فالموت أولى به !».

وكل يوم صفحة جديدة في تاريخ الانسان ، وعليه ان يملأها بالخير والعمل ، والسعي .

يقول الحديث :

ـ « كل يوم يقول لابن آدم : أنا يوم جديد ، وغداً عليك شهيد ، فاعمل فيّ خيراً ، وقل فيّ خيراً فانك لن تراني بعد هذا ابداً ! ».

* * *

هـذه هي ثورة الاسـلام . فأين مـوقع الامـام علي من هذه الثورة ؟

* * *

إن أهمّ صفـة في الامام هي رفضـه الخضوع لـلأوضاع القـائمة ، وقتـاله المشـركين والكفـار ، في عهد الـرسـول ، وقتـالـه القـاسـطين ـ الـظالمين ـ والنـاكثين ـ المتمردين . والمارقين ـ التحريفيين ، بعد الرسول !

منـذ كان عمـره عشر سنـوات رفض آلهة قـريش ليقف مـع رسول الله ـ في مقـابل اقـطاب المشركـين ـ ويقول « الله أكبر » « أشهد أن لا إلـه إلا الله . وأن محمداً رسـول الله » .

قال له أحدهم :

ـ يا علي هل استشرت أباك عندما /آمنت بمحمد ؟

فأجابه :

وهل استشار الله أبي حينما خلقني ؟

وكانت بداية . .

واستمـر ، مساهمـاً رئيسياً في صنـع الحقيقة الاسـلامية الجديدة حتى قال عنه النبي :

- « لولا سيف علي، ومال خديجة ، لما قام للاسلام عمود » . .

واشترك في كل معارك النبي الا القليل جداً - حيث كان يقوم بدور داخلي أعظم - . وقال فيه النبي :

- « علي مني بمنزلة هارون من موسى - إلا أنه لا نبي بعدي » .

وقال فيه :

« علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار. وعلي مع القرآن والقرآن مع علي . . » .

وتحوّل من مجرد مسلم ، الى ميزان للاسلام . . المجسّد في إنسان . الى « إمام » فقال عنه النبي :

- « يا أبا ذر. . لو سلك الناس واد ، وسلك علي واد آخر فاسلك الوادي الذي سلكه عليّ !» .

ولما آلت الخلافة اليه ، كانت « الثورة » الاسلامية قد تحولت الى « دولة » وملك قبلي يتوارثه الولاة بحسب النسب والنشأة والقبيلة التي ينتمون اليها . .

فثار الامام على ذلك . .

ورفض أن يترك واحداً ممن ساهم في انتكاسة الثورة الاسلامية من القضاة والحكام والولاة ، على منصبه ولو ليوم واحد . . فعزلهم في أول يوم بايعه الناس بالخلافة .

ونزل الى الجماهير. .

وعاد الناس مرة أخرى يتذوقون طعم الحرية في ظل حكومة يشترك رئيسها الأعلى مع أفقر الطبقات في جشوبة العيش وخشونة الملبس، وتواضع المسكن . . .

وكان يقول :

ـ « . . . ولكن أسفاً يعتريني ، وجزعاً يريبني من أن يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجارها ، فيتخذون مال الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، والصالحين حرباً والقاسطين حزباً ».

وأعلن عودة أموال الجماهير اليها قائلاً :

ـ « الا . . وان كل قطيعة اقطعها عثمان ، وكل ما أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال. فان الحق لا يبطله شيء! ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرّق في البلدان لرددته ، فان في العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق »!

وكتب رسالة إلى أحد ولاته يقول له فيها :

« أمّا بعد، فلا يكن حظك في ولايتك مالاً تستفيده ، ولا غيظاً تشفيه ، ولكن اماتة باطل واحياء حق »! وكتب لآخر : « وليكن أحب الأمور اليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية ».

وعاش بين الناس، وكان يقول لهم :

ـ « انما أنا رجل منكم، لي مالكم ، وعليّ ما عليكم »!

وأوصى جميع شيعته بأن يكونوا مع الجماهير، ويلتزموا الخط الجماهيري قائلاً :

ـ « ألزموا السواد الأعظم، فان يد الله مع الجماعة»!

وهكذا كان الامام علي . . ثورة !

وهكذا كانت ثورته . . جماهيرية !

* * *

وماذا عن لا طائفية الامام ولا طبقيته ، ولا قبليته ؟

عندما عين مالك الأشتر والياً على مصر ، قال له عن الناس ، قولاً صريحاً واضحاً :

ـ « الناس : إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق. . » ومنع بذلك الطريق أمام المساومة على حقوق الانسان ، باسم طائفة ، أو قبيلة ، أو حتى دين ، فاذا لم يكن الفرد مؤمناً ، فهو نظير؛ ، وله حقوقه كانسان . وما أكثر حقوق الانسان ؟!.

وكان يقول : « واعلموا ان الناس عندنا اسوة . . » وكتب لأحد ولاته يقول له : « وليكن أمر الناس عندك في الحق سواء. . »، وقال لآخر :

ـ « اياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة !

ان المال والأرض، والخيرات الناجمة عنهما ، ليس لأحد فيها نصيب أكثر من سواه ، في مذهب الامام علي ، الا بجهده وحاجته : ومن أبى هذه الحقيقة فقد خان الشعب ، وأعظم الخيانة خيانة الأمة » في نظر الامام . ومن خان الأمة فلا رأي له ، ولا شأن لموقفه من الامام . لذلك هو عازم على أن يعمل بما يحفظ لهذه الأمة حقوقها . والامام علي إذا عزم لا يخشى موقف النافذين منه ، ولا قولهم فيه . فهو الحق الذي يعزم والعادلة التي تنطق. وليس لأحد ـ حتى أصحاب النبي والمجاهدين

معه ـ فضل بهذه الصحبة ، وهذا الجهاد على غيرهم من الخلق[1].

يقول الامام :

ـ أيها الناس.. ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار ، وفجروا الأنهار ، وركبوا الخيل واتخذوا الوصائف المرققة ، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم الى حقوقهم التي تعلمون (لا يقولن أحد) : حرمنا أبن ابي طالب حقوقنا! ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته ، فان الفضل غداً عند الله، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يُقسم بينكم بالسوية ، ولا فضل فيه لأحد على أحد »!

وخاطب الجماهير قائلاً :

ـ وان تكونوا عندي في الحق سواء!

وقال :

ـ لا يسعنا أن نعطي امرءاً أكثر من حقه!

---

(١) الامام علي صوت العدالة الانسانية ج ١ ص ١٩٣

وقال لأحد ولاته الذي طالبه بالزيادة من الحقوق :

ـ « ان هذا المال ليس لي ولا لك!

وما دام ان المال ليس لأحد، بل هو للجميع، فلا يجوز أن يصرف منه إلا على الجميع ـ وحين جاء الامام ، كانت القلة القليلة تعيش على حساب الجماهير فحرّم عليها ذلك ، ووفرّ لكل فرد كل متطلبات الحياة ، بحيث صار ـ كما يقول هو (ع) ـ « أدناهم يعيش في ظل (له بيت) ويأكل البر ويشرب من ماء الفرات »!

وحينما جاء اليه عقيل، أخوه الأكبر، ليطالبه بأن يزيد من معاشه، أحمى الامام حديدة ثم قرّبها إلى وجهه ـ وكان هذا الأخير أعمى ـ ولما أحسّ بحرارتها صاح، وارتعد . . فقال له الامام :

ـ « ثكلتك الثواكل يا عقيل ! أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه ، وتجرني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه ؟» .

ورفض أن يزيد له شيئاً باعتباره أخ الخليفة وقال قولته الشهيرة : « أن الشرف بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب »!

* * *

وثورة الامام علي كانت تقدمية ؟

وماذا هي التقدمية ؟

انها بالطبع ليست شعارات ترفع، ولكنها حقائق يجب أن تطبق على أرض الواقع . .

التقدمية تعني الحرية . . وتعني البحث عن الأفضل . . وتعني تحقيق مصلحة الجماهير . . وتعني تأمين كل ما يحتاج اليه الفرد، والمجتمع . . وتعني العدالة للجميع . .

وكلها مباديء حققها الامام علي، قبل أن يتحدث عنها ، فلم يكن الامام بالذي يقول فيفعل ، ولكنه كان يفعل فيقول . .

١ / هاكم ما يقوله عن الحرية :

ـ « لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً » !

وعندما قال الامام ذلك كان قد حرر نفسه أولاً ، من كل الأغلال التي تقيد بها ولاة زمانه ، من الاشادة بالحسب والنسب كما حررها من الطمع في الملك والجاه والسلطان، وحرّرها من الحقد والكراهية ، وحرّر جسده من شهوة المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، الا ما كان من الضرورات البديهة القاهرة . وهو لم يكن ليأكل من بيت

المال ، بل كان يأكل من كدّ يده وربما اضطر إلى أن يبيع سيفه ورمحه ليحصل على وجبة طعام فيما كان يوسع على الولاة حتى لا يضطروا الى قبول الرشوة مما يؤدي الى ظلم الحق ومسايرة الباطل!

وكان يقول بعد ذلك:

ـ «من ترك الشهوات كان حراً».

وقد نهى ان يجبر أي عامل على أي عمل لا يحبه ، لأن العمل الحر هو المطلوب عند الامام علي.. وهو يقول:

ـ « ولست أرى أن أجبر أحداً على عمل يكرهه»!

وعندما سمع ان رجلاً اكره بعض العمال على حفر نهر في أرض عامة ؛ قال أن النهر يكون للعمال ، وليس للذي أكرههم أي شيء وقال :

ـ « والنهر، لمن عمل دون من أكرهه»!

٢ / وهاكم ما يقوله عن البحث عن الأفضل:

ـ « أكثر الناس قيمة من كان يومه خيراً من أمسه ، وغده خيراً من يومه ».

ويقـــول : ـ « مـــا رام امـــرؤ شيئـــاً إلا وصله أو مـــا دونه »! .

ويقـول ـ عن ضرورة اقتحـام الحياة وكـل مجال حيـوي بلا خوف ـ :

ـ « إذا خفت من أمـرٍ فقع فيـه ، فان شـدة توقيـه أكبر منه » !

ويقـول عن أهل الخـير ـ : « ولا يرضـون من أعمـالهم القليـل ، ولا يستكثـرون الكثـير فهم لأنفسهم متهمـون ، ومن أعمالهم مشفقون »!

ويقول : « الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية »!

ويقول :

ـ « من سعادة المرء الزوجة المطيعة ، والدار الوسيعة ، والدابة السـريعة »! ويقـول ـ : « لكل امـرىء ما اكتسب »! ويقول ـ : « من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه »!

ويقول عن لسان النبي :

ـ « علو الهمة من الايمان » !

٣/ وهـاكم ما يقـولـه عن تحقيق مصلحة الجمـاهـير.

وليس أصحاب المصالح والأثرياء، والمترفين . .

ـ « انصف النـاس من نفسـك ومن خـاصـة أهلك ، ومن لـك فيه هـوى من رعيتك ، فـانـك الا تفعـل تـظلم! ومن ظلم عبـاد الله كـان خصمـه دون عبـاده، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقـامة عـلى ظلم فان الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد » .

« وليكن أحب الأمـور اليك أوسـطهـا في الحق وأعمّهـا في العـدل وأجمعها لـرضا الـرعيـة ، وليس أحـد أثقـل عـلى الـوالي مؤونـة في الـرخـاء وأقـل معـونـة في البلاء، وأكـره للانصاف، وأسـأل بالالحاف وأقـل شكراً عند الاعـطاء، وأبـطأ عـذراً عنـد المنـع ، وأضعف صبـراً عنـد ملمـات الـدهـر ، من أهـل الخـاصـة! والعـدة لـلأعـداء العـامـة « الأكثرية » من الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم» . .

٤/ وهاكم ما يقوله عن تأمين مـا يحتاج اليـه كل فـرد:

ـ « لكـل ذي رمق قـوت (لا بـد أن يحصـل عليـه) ولكل حبة آكل (لا بد من البحث عن المحتاج اليها) » .

ويقول :

ـ « ما جاع فقير الا بما متّع به غني (فلا بد من أخذ حق أي فقير من الأغنياء) » .

ويقول لأحد ولاته :

ـ « أنظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك (من عندك) من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع الفاقة والخلاث، وما فضل فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا » :

وكتب الى والٍ آخر يقول :

ـ « لا تبيعن للناس في الخرّاج كسوة شتاء ولا صيف، ولا رزقاً يأكلونه ، ولا دابة يعتملون عليها . ولا تضربن أحداً منهم سوطاً لمكان درهم . ولا تقمه على رجله في طلب درهم . ولا تبع لأحد منهم عرضاً في شيء من الخراج فانما أمرنا أن نأخذ منهم العفو » .

ويقول :

ـ « لا تستصغرن عبداً من عبيد الله فربما يكون وليه ، وأنت لا تعلم» . !

ويقول:

ـ «أحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ، وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك » .

ويقول :

ـ « الضعيف الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له ، والقوي العزيز عندي ذليل حتى آخذ الحق منه»!

ويقول لأحد ولاته :

ـ « واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعد (تبعد) عنهم جندك وأعوانك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع (غير خائف). فأني سمعت رسول الله يقول : « لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع »!

٥/ وهاكم ما يقوله عن العدالة :

ـ « بئس العدوان على العباد» . .

ويقول:

ـ « وأيم الله لانصفن المظلوم من ظالمه ، ولآخذن الظالم بخزامته حتى أورده نهل الحق وان كان كارهاً »!

ويقول :

« أمرتكم بالشدة على الظالم »!

ويقول :

ـ « وأما الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض ! وان ظلم الضعيف افحش الظلم »!

ويقول :

ـ « اشقى الرعاة (الحكام) من شقيت به رعيته »!

وعندما بلغه أن عاملاً له يأكل ما تحت يديه من أموال الناس، ولا يعدل فيهم ، بعث اليه رسالة عاجلة يقول له فيها :

ـ « . . فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم اموالهم . فانك ان لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذّرن الى الله فيك (لأعاقبنك عقاباً يكون لي عذراً عند الله من فعلتك هذه) ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ، ولا ظفرا مني بارادة ، حتى آخذ الحق منهما ، وازيل الباطل عن مظلمتهما »!

وكان يقول :

ـ « والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً،

وأجـرّ في الأغـلال مصفـداً، أحـب إليّ من أن ألـقى الله ورسوله يـوم القيامـة ظالمـاً لبعض العباد ، أو غـاصباً لشيء من الحطام» . .

« وكيف أظلم أحداً ، لنفس يسرع الى البـلى قفولهـا ، ويطول في الثرى حلولها » .

* * *

هـذا هو الامـام علي : ثورة في سبيل الجمـاهـير ، ومن أجل تحقيق كرامتها ، وحريتها ، وسعادتها في الحياة !

أما واجبنا تجاهه فهـو أن نسير وراءه، ونعيش مثله مـع الحق من اجـل الجمـاهـير، ونـنـاضـل من اجـل كـرامتهـا وحريتها وسعادتها في الحياة !

لمن حمل السلاح؟

لمن حمل غُصن الزيتون؟

عندما تأكل عصابة من اللصوص خيرات الناس وجهودهم .

وعندما يحصد السفاحون رقاب الأبرياء . .

وعندما يصبح الشعب آخر من يفكر فيه الحكام . .

وعندما تكون قيمة المال والقبيلة أكبر من قيمة الانسان والأخلاق، والكفاءة!

عندئذ تكون الثورة . .

بل تجب الثورة . .

ولكن هل من المعقول أن يتنازل الحكام عن امتيازاتهم بسهولة ؟

وهل من المعقول أن ينصب السفاحون مشانق لانزال العقوبة على أنفسهم؟

ومتى كانت الشعوب تحصل على حقوقها من دون أن تدفع الثمن من رجالها، ودمائها ؟

من هنا فان الكفاح المسلح ليس مشروعاً فحسب ، وانما هو ضرورة أيضاً ـ فلا شرف يمكن الحفاظ عليه من دون أن يحميه سلاح، ولا حق يمكن الحصول عليه من غير القوة ، فالعنف الثوري جزء لا يتجزأ من الثورة الحقيقية وضرورة من ضرورات النضال.

يقول الامام علي :

ـ « كفى بالسيف شافياً من الباطل. وكفى بالسيف ناصراً للحق !».

ان الذين يخافون من الدم هم الذين لا قضية لهم .

فمع وجود قضية فكل شيء لذيذ حتى . . الموت! .

بل الموت حينئذ ألذ الأشياء، لأنه يكون: شهادة!

بعد حرب بدر تحمل الامام علي (ع) جراحات كثيرة ، فزاره النبي، فقال الامام في أسى بالغ :

ـ « يا رسول الله . . أرأيت كيف فاتتني الشهادة »

فقال له النبي :

ـ « انها من ورائك يا علي » . .

فسأله الامام :

ـ « أفي سلامة من ديني » ؟

قال :

ـ « في سلامة من دينك » . .

فقال الامام بفرح :

ـ « اذن لا أبالي » ! .

لم يكن الامام علي بالذي يخشى القتال ، فقد قاتل في حياته عشرات المرات ، بل انه تسبب في قتل كثيرين ، فقط كان ضحايا حرب صفين أكثر من خمسين ألف قتيل .

ولقد قاتل اخوته وبني عمومته من أجل الله والحق . وقال في ذلك .

ـ « ولقد كنا مع رسول الله (ص) نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا واعمامنا ، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسلميا ومضيا على اللقم ، وصبراً على مضض الألم ، وجداً في جهاد العدّو ، ولقد كان الرجل منا ، والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين ، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي

صاحبه كأس المنون ، فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا ، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر، حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه ومتبوعاً أوطانه »[1].

وحاول مرة أن يقتل أخاه الأكبر منه : عقيل وكان أخوه في جبهة العدو ، فتمكن الامام منه فرماه على الأرض، وجلس على صدره ليقطع رأسه ، فقال له عقيل:

ـ أو قاتلي أنت يا علي؟

قال له الامام ـ : أي والله الذي لا إله إلا هو . .

فقال عقيل ـ : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقال له الامام ـ : لم اسلمت يا عقيل أمن خوف السيف؟

أجاب عقيل ـ : لا . . يا علي . . ولكن عرفت من عزمك على قتل أخيك انك تدافع عن حق، وان دينك من الله . . .

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٥٦ .

وكان الامام علي يقول كثيراً :

ـ « والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل إلى ثدي أمه » !

وكان يقول :

ـ « والله لا أبالي، أوقعت على الموت ، أم وقع الموت عليّ » !

وفي صباح اليوم الذي قتل فيها ، أخذ يشدّ حزامه ويقول :

ـ اشدد حيازيمك للموت
فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
إذا حل بواديكا
كما أضجكك الدهر
كذاك الدهر يبكيكا

وخاض مع النبي أكثر حروبه ، كما خاض ثلاث حروب ضخمة خلال سنوات خلافته : الأربعة . .

دخل ساحة الحرب قبل أن يبلغ الحلم .

وبقي فيها يقاتل الى أن سقط شهيداً، وهو يستعد للحرب ـ وكان عمره آنئذ ـ ٦٣ عاماً!

كان مقاتلاً جيداً، كما كان زاهداً جيداً . .

أيمانه كان في حربه . . يقتل الطغاة ويقتل المجرمين ويقتل القتلة لأنه كان يريد أن يسحق الباطل وكان يقول :

ـ « لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته»!

في صباح يوم بارد بعد صفّين دخل الامام مسجد الكوفة ليصلي، فرأى رجلاً أعمى يجلس على عتبة الباب فقال له الامام :

ـ لا تجلس هنا ، فانه يكره الجلوس على العتبة . .

فقال له الرجل:

ـ من أنت؟

قال الامام :

ـ «أنا علي»

قال الرجل في صلافة :

ـ أما كفاك ما أرقت من دماء المسلمين بصفين؟!

كانت إهانة شخصية وجهها الى الامام ، ولذلك فقد سكت (ع) عليه ، وتركه . .

وبعد أن دخل الامام في الصلاة، جاء مالك الأشتر مسرعاً ودخل المسجد، فرأى الرجل على العتبة ، فقال له ، ما قاله الامام ،فسأله الرجل :

ـ من أنت ؟

قال :

ـ أنا مالك الأشتر .

قال له الرجل :

ـ اذهب ، والا قلت لك ما قلته لمولاك علي .

قال مالك :

ـ وماذا قلت لمولاي؟

قال :

ـ قلت له أما كفاك ما أرقت من دماء المسلمين بصفين؟

فأخرج مالك سيفه، وضرب عنق الرجل وأراده قتيلاً ثم دخل المسجد ، وصلى مع الامام . . .

لقد كانت اهانة الرجل الأعمى للامـام ، اهانـة للقيادة بالنسبة الى مالك . . ولذلك أنهى حياته بضربة سيف .

ولما قتل مـالك هـذا بالسم ، ووصـل الخبر الى الامـام بكى بكاء مراً ثم قال :

ـ « مـالك؟ ومـا أدراك مـا مـالـك ؟ وهـل تلد النسـاء كمالك ؟ لقد كان لي كما كنت لرسول الله !

* * *

ولأن خـاض الامـام الكفـاح المسلح بمقـدرة فـائقـة ، وتعميم عـظيم ، فانـه أيضاً كـان الملتـزم بكـل اخـلاقيـات المقاتل ومناقبيه الثائرين .

فلم يكن القتـال عنـده شهـوة . . بـل كـان وسيلة للقضاء على جذور الفساد . .

انـه كان يحـارب من أجل قضيـة ، ولذلـك استـرخص نفسـه شهيداً من أجلهـا . . وكانت قضيتـه : تحقيق العدل ، وتثبيت الحق واشاعة الحرية الحقيقية لكل الناس . .

ولهـذا كـان يحب الانسـان ، حتى الـذين كـان يقـاتلهم ويقاتلونه لم يحرموا من حبه وعطفه . .

وبلغ من عطفه عليهم ان كان يوصي أصحابه فيقول:

ـ « لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإذا كانت الهزيمة باذن الله، فلا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوزاً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى ».

وعندما احتل اصحاب معاوية الماء، وأعلنوا انهم سوف يمنعونه عن الماء الجاري حتى يموت هو واصحابه عطاشى..

قاتلهم الامام حتى أجلاهم عن الماء، ثم دعاهم الى شرب الماء بلا زاجر من أحد، وعندما عاتبه اصحابه على هذا الموقف، قال لهم:

ـ « ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف؛ لكاد العفيف أن يكون ملاكاً من الملائكة »!

وكان اذا ظفر باعدائه من المسلمين، بكى قتلاهم ـ وهم في الواقع قتلى الأنانية والطمع والأثرة ـ كما كان يبكي قتلاه!

ولهذا فانه ما قاتل جيشاً إلا ونصحه طويلاً قبل أن يبدأ المعركة.. ولا تخلو معركة واحدة من معاركه من

حوار طويل أو خطاب طويل مع عدوه . .

كان الامام يحارب من أجل العـدالة . . فهـو من أعداء الفقر أليس هو القائل :

ـ « ولو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته » ؟

والقائل :

ـ « الفقر سواد الوجه في الدارين » ؟ .

وأليس هو الذي اعتبر الابتعاد عن منهـج الحق والعدل سبباً لبروز الفقر، مما يعني أن الفقـر توأم الابتعـاد عن الحق والعدل فيقول :

« لـو سلكتم الحق من نهجه، لابتهجت بكم السبـل ، وما عال فيكم عائل ـ أي ما افتقر فيكم فقير ـ»؟

وأليس هو الذي اعتبر الفقر عذاباً من الله ، فقال :

ـ « ما ضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقر»؟

وهو الذي اعتبر الفقرموتاً، بل وأكبر منه فقال :

ـ « الفقر هو الموت الأكبر » !

واعتبره صديق الكفر، حينما قال :

ـ « ما دخل الفقر بلداً ، الا وقال الكفر: خذني معك » !

اذاً فلا يمكن أن يحب الامام علي « الفقر » ، ويكره الطعام اللذيذ، والملبس الناعم ، والمسكن الجيد. .

ولكن يبتعد عن ذلك ما دام في الأرض فقراء، لا يملكون الطعام اللذيذ، ولا الملبس الناعم ، ولا المسكن الجيد. .

فهو يريد أن يرفع الفقر عن الناس أولاً، وما دام أنهم فقراء فسيعيش معهم ، وفيهم ، ومثلهم .

فما دام في الناس من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع ، فعلي لا يطمع في قرص، ولا يسعى الى شبع. .

وهذا معنى القيادة . .

إن القائد هو الذي يعيش مع الناس، وفي مقدمتهم ، وكأفقر واحد فيهم . . وليس هو الذي يسكن الأبراج العاجية بينما الشعب يعاني من الجوع ، والكدر ، والحاجة . .

يقول الامام :

ـ « أأقنع من نفسي بأن يقال «أمير المؤمنين » ولا أشاركهم في مكاره الدهر» ؟

ذلك ما لا يكون ما دام هو « أمير المؤمنين » . . فهو يعيش مثلهم في مكاره الدهر، في الفقر والعوز ، حتى إذا زال شبح الفقر عن الناس زال عنه أيضاً . .

* * *

من هنا كان الامام علي، يسعى الى ردم الهوة بين مختلف الطبقات . . حيث عمد إلى الحكام الذين يعيشون عادة كطبقة بيروقراطية، ففرض على أفرادها ـ بما في ذلك الرئيس والأمير ـ أن يعيشوا فقراء ما دام في المجتمع فقير . . وأن يعيشوا في الأكواخ ما دام أفراد المجتمع لا يملكون البيوت . .

فلا يجوز في المجتمع الذي يريده الامام علي، أن يتخم عضو ويجوع عضو آخر . . ويعتبر ذلك ضد مباديء الحق والعدل، ويقول :

ـ « ما رأيت نعمة موفورة إلا إلى جانبها حق مضيّع » !

وهل يجوز للمجتمع أن يسكت على « الحق المضيّع »؟

ألا يقول رسول الله :

ـ « الساكت عن الحق شيطان أخرس»؟

وألا يقول الامام علي نفسه ، لابن عباس حينما دخل عليه ، فإذا هو يصلح نعله بيديه ، فقال الامام وقد رأى أثر الدهشة على وجهه :

ـ « ما قيمة هذا النعل؟ يا بن عباس»؟

فقال ابن عباس :

ـ لا قيمة لها يا أمير المؤمنين.

فقال الامام :

ـ « والله لهي أحب ألي من أمرتكم هذه، الا ان أقيم حقاً وأدحض باطلاً » !

* * *

أما العمل في سبيل الآخرة ، فهو يمر بالعمل في سبيل الناس . .

فلا طريق إلى الجنة لمن لا يخدم الجماعة . .

وماذا تعني خدمة الجماعة ؟

انها تعني في الدرجة الأولى السعي لتأمين الخبز والماء والكساء والمأوى للناس . .

يدخل الامام علي مرة على العلاء بن زياد الحارثي ، وكان من المقربين اليه ، فيجد داره واسعة وجيدة ، فيقول له :

ـ « ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في هذه الدنيا . ؟ . أما أنت اليها في الآخرة أحوج » . .

ثم يصمت لحظات، يعود بعدها الى القول:

ـ « بلى . . ان شئت بلغت بها الآخرة: تقري فيها الضيف، وتصل فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها فاذا انت قد بلغت بها الأخرة » !

* * *

والعبادات ما شأنها في الحياة ؟

أليست كلها من أجل تربية النفوس على البذل والعطاء، والترفع عن الأنانية والأحقاد، والعمل في سبيل الناس؟

ألا يقول الله تعالى:

﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين ؟ فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين

الـذين هم عن صـلاتهم سـاهـون ، الـذين هم يـرائـون ، ويمنعون الماعون﴾. .

معتبـراً من لا تـرتبط صـلاتـه بـطعـام المسكـين ، ولا بتقديم العون الى المحتاجين ، ولا تمنعه عبـاداته عن « دعّ » اليتيم من اصـحـاب النـار ، ويوعـده بـالـويـل والعذاب . . .

إن الصلاة تعني التخلص من أي التزام تجـاه أي شيء في الحيـاة، إلا الله. . ومن ثم العمل ـ بعيدا عن الأنـانيـة والحقد ـ في سبيل الجميـع ، فاذا لم تؤد هـذه الوظيفة أعتبر المصلي سـاهياً فيهـا . . أي مضيعاً طـار معناهـا . . .

هذا هو الامـام علي. . يقـول لكميل بن زيـاد في معنى الصلاة والصيام :

ـ يا كميل. . ليس الشـأن أن تصلي وتصـوم وتتصدق، وانمـا الشـأن أن تكـون الصـلاة بقلب نقـي ـ خـال من الشـوائب ـ وعمـل عند الله مـرضي . وأنـظرفيـما تصـلي، وعلام تصلي ـ الملبس الـذي عليك ، والمكـان الذي تصـلي عليـه ـ فان لم يكن من وجهـه ـ وطـريقـه الصحيـح ـ وحلّه فلا قبول!

* * *

كان حاكماً على مئات البلاد، وملايين الناس ومع ذلك كان يخرج فجر كل نهار إلى الأسواق في الكوفة ويطوف بها ، ويقف على أهل كل سوق وينادي :

ـ « يا معشر التجار . . اتقوا الله ، واقتربوا من المبتاعين (تقربوا الى المشترين) وتزينوا بالحلم ، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا (ابتعدوا) عن الظلم، وانصفوا المظلومين، وأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشيائهم ، ولا تعيشوا في ا لأرض مفسدين » .

ويدخل عليه أحد أصحابه ، واسمه نوف البكالي ويقول له :

ـ يا أمير المؤمنين : عظني !

فيقول له الامام :

ـ « يا نوف : أحسن الى الناس يحسن الله اليك » .

فيقول نوف :

ـ يا أمير المؤمنين زدني . .

فيقول الامام :

« يا نوف : ان سرّك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين معيناً » .

ويبدو أن مقام الامام علي يوم القيامة انما يكون له بسبب مقاومته للظلم، ودفاعه عن المظلومين . .

هكذا قال له النبي مرة:

ـ « يا علي: أن الله قد زينك بأحب زينة لديه: وهب لك حب المستضعفين ، فجعلك ترضى بهم أتباعاً ، ويرضون بك اماماً !

* * *

من يريد أن يقتدي بالامام علي؟
من يحب أن يكون معه في الجنة؟

هذا هو طريق الامام :

أن تعبد الله الذي أطعمك من جوع وأمنك من خوف. . وان تكون مع القلوب المنكسرة . . وان تعيش مع الفقراء، وضد الفقر، . . وان تقاوم أي نظام يعمق الهوة بين الفقراء والمترفين. . وأن تكون رافضاً لكل مقام إلا إذا اقمت حقاً وادحضت باطلاً. . وأن تكون للظالم خصماً وللمظلوم عوناً ».

هذا هو طريق الامام علي. .
وتلك قضيته . . .

يوم الغدير . .
مناسبة للتغيير!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله العظيم في كتابه الكريم :

﴿ اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾.

صدق الله العلي العظيم

الأعياد في الاسلام تختلف عنها ، في المباديء الأخرى.

فالعيد في غير الاسلام ، هو عيد « الحصول على شيء». فاذا حقق شخص ما أو شخص ما ، أمنية من أمانيه ، فانه يعتبر ذلك اليوم عيدا له .

أمّا الاسلام، الذي يجعل رفع المكانة المعنوية للانسان

هـدفه ، الأسـاسي في الحياة ، فـانه لا يـوجد «عيـد مادّي» فيه .

فعيـد المغانم، والمصـالـح، لا وجـود لـه في الاسـلام، ولهذا فان احياء العيد ـ هوالآخر ـ ليس بـالتزيـين والتطبيـل والتـزمير . «فليس العيـد ـ كما يقـول رسـول الله (ص) لمن لبس الجديد، وانما العيد لمن امن الوعيد » .

أما عند الآخرين ، فان مجـرد الحصول عـلى الشيء هو « مناسبة العيد » .

خذ مثلا عيد ميلاد الشخص . ماذا يعني ذلك ؟

انـه يعني مجرد الحصـول على الحيـاة . فهل هـذا بحـد ذاته أمر يستحق أن يكون عيدا؟.

كلا . . فليس مجرد ولادة الانسان في هذه الـدنيا قضيـة مهمة ليحتفل بها الانسان ، بـل عمل الانسـان في الدنيـا ، ونـوعيـة « صـرف » هـذه الحيـاة، هي التي تحـدد « أهمية » الانسان، أو لا أهميتها .

ومن هنـا فـلا يحتفل في الاسـلام بـذكـرى ميـلاد أي شخص، ولا يعتبـر ذلك عيـدا. بل العيـد في الاسلام هـو عيـد « تنـازل » الانسـان عن شيء مـادي لصـالـح شيء معنوي .

خـذوا مثلاً « عيـد الفطر » هـذا العيد يـأتي بعد مـرور شهـر كامـل على تنـازل الانسـان خـلا ل ٣٠ نهارا عن أهم الحاجات والرغبات وهي حـاجة الـطعام والشـراب والجنس لصـالـح امتـلاك « الارادة الصلبة». فعيـد الفـطر هـو عيـد التنـازل عن المـاديـات لصـالـح المعنـويـات . أي انـه عيـد السيطرة على الشهوات والرغبات .

ومثـال آخـر (عيـد الأضحى « فهـو يـأتي بعـد أعمـال الحـج ، حيث يتنـازل الانسـان فيهـا عن كـل مـا يلذ أو يـطيب، ويعيش فترة من الـزمان في حـالـة «الاحـرام» وهي حـالة يحـرم فيها الحـاج على نفسـه كل الامتيـازات بما فيهـا امتياز الملبس، والمظهر وهكذا . .

فـانه اذا كـانالعالم يعيّـد في منـاسبـات « الأخـذ » فـان المسلم يعيد في مناسبـات « العطاء » لـذلك فـان العالم يعيّـد في ذكـرى ميـلاد « اديسـون » لأنـه اختـرع الكهـربـاء . . وبعض شبابنا يتساءل، لماذا نعيّد مع العـالم في ذكرى ميـلاد « اديسون »؟

والجواب :

ـ ان الأشيـاء الماديـة كلها ـ بمـا فيها حيـاة الشخص ـ لا لـون لهـا ، ولا يمكن تقييمهـا بحـد ذاتهـا . انمـا لا بـد من

تقييمها حسب استعمالها ، وطريقة ذلك، ونوعيته، وهذا أمر مفهوم في « الأشياء » التي نصنعها . فمثلا السيارة بحد ذاتها ليست جيدة، أو غير جيدة، وانما كيفية استعمال السيارة ، هي التي تحكم على ذلك .

فاذا استعمل الانسان سيارته في سبيل الحرام والظلم والتعدي، أصبحت سيئة.

أما استعمالها لعمله الحلال، أو لخدمة الأخرين، أصبحت جيدة.

وكذلك السلاح، فهو لا يمكن ان يوصف بأنه جيد أو غير جيد، انما نوعية استخدام السلاح هي التي تحدد ذلك.

فقتل المظلومين والفقراء والثائرين يجعل السلاح سيئاً للغاية.

أمّا مقاتلة الطاغوت والظالمين ، فانها تجعل السلاح جيدا للغاية.

المهم نوعية الاستعمال..

وهكذا بالنسبة الى حياة الأشخاص. فالأنبياء والأئمة (ع) انما يحتفل بذكرياتهم لا باعتباراتهم الشخصية،

وانما باعتباراتهم القيادية، والرسالية.

فالامام علي (ع) - مثلا انما نحتفل بذكراه باعتباره اماما عظيما، يعلمنا كيف نعيش؟ وكيف نستعمل الأمور المادية لخير الانسانية؟ فاذا كان «اديسون» قد اخترع المصباح الكهربائي، فان الأنبياء والأئمة انما علموا كيف؟ ولمن؟ ومتى؟ واين نستعمل الكهرباء وغير الكهرباء.

انهم علمونا كيفية الاستفادة من الحياة، بما جسّدوا لنا «القدوة» في الحياة.

بالاضافة الى انهم تحولوا - بفعل تنازلهم عن الذاتيات والعمل في سبيل الله - الى «قيم» مقدسة في الحياة..

* * *

والسؤال: الآن، ما هو عطاء يوم الغدير للبشرية حتى نحتفل بهذا اليوم؟

والجواب:

اذا كنّا نتوقع عطاء ماديا لهذا اليوم فهو منفي سلفا. فلا قصور، ولا شوارع، ولا سيارات، انتجها هذا للمسلمين يوم الغدير.

أمّا اذا كنا نتوقع العطاء المعنوي، فان هذا اليوم يعتبر من اعظم اعياد الأسلام .

لماذا؟

لأننا في مثل هذا اليوم - في التاريخ - تعرفنا على مباديء، وحكمة ، وعلم الامام علي عليه السلام .

في مثل هذا اليوم تعرفت البشرية على قدوتها في الحياة . تعرفت على امامها في السلم والحرب وعلى « المثال » الذي يجب ان يكون عليه « الحاكم المسلم » والاّ كان عليهم ان يثوروا عليه .

ان القرآن الكريم، حينما يحدثنا عن هذا اليوم المبارك قول :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

ولا يقول : « دنياكم »، حتى نتساءل ماذا حصلنا عليه في مثل هذا اليوم من مغانم مادية .

﴿اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾.

المسألة، اذاً هي مسألة دين، وليست مسألة كرسي الحكم - كما قد يظن البعض - .

وبتصريح الآية فان الله اكمل دينه في هذا اليوم، واذا كان القصد من اكمال الدين هو جلوس الامام علي (ع) على كرسي الخلافة، فان هذا لم يحصل بعد رسول الله مباشرة فهل الأية لم تطبق، والله يقول ﴿ اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ﴾ ـ بصيغة الماضي ـ .

ونتساءل: ما هو الدين الذي أكمل في هذا اليوم وما هي النعمة التي أتمها الله على المسلمين فيه؟

والجواب:

أما اكمال الدين فهو تعيين « القدوة » التي يجب أن تسير الأمة خلفها . ذلك لأن الدين كعقيدة، ومباديء، بحاجة الى من يجسدها في الواقع العملي و « القرآن الصامت » بحاجة الى « قرآن ناطق » يطبقه ويمثله . .

أمّا النعمة التي اكملت، فلم تكن حتما قصورا وفيلات ، وذهبا وفضة، وذلك لأننا نعرف ان المسلمين عاشوا صراعا مع الباطل وحياتهم كانت حياة جهاد وتضحيات ، وشربوا الماء الآمن ، وأكلوا الطعام الخشن، وانما كانت النعمة هي نعمة الهداية والوعي ، والفهم، والعلم . والفضيلة ، والتقوى التي جسدها الامام علي عليه السلام.

فحينما تعيّن لهم خلف من يسيرون؟ وبمن يقتدون؟ وممن يأخذون معالم الدين، وخريطة الحياة؟ اكمل الله لهم دينهم. . .

ومن هنا، فان اكمال دين الشخص، واتمام النعمة عليه، لا يتم بحب الامام علي (ع) فقط وانما أكمال الدين هو السير وفق هدى الامام والالتزام بمبادئه، لأن هدى الامام ، وليس شخصه هو أكمال للدين. .

ان تعمل مثل الامام علي (ع) هو اكمال لدينك واتمام نعمته عليك. . ولذلك فان كل يوم يبدأ فيه الانسان بالسير على هدى الامام ، ويحاول تقليده فهو عيد له ومبارك عليه.

وحينئذ، يرضى الله له الاسلام دينا ، ويتم نعمة الهداية عليه. .

وإلا . . فلا.

وعلى ضوء ما سبق فانّ يوم الغدير ليس مناسبة الأكل ، ولبس الجديد، والتزيين بل هو مناسبة للتغيير.

يوم الغدير ليس مناسبة للراحة ، بل هو مناسبة للعمل . . وليس مناسبة لتوزيع الحلويات بل هو مناسبة

للجهاد، والنضال..

وهو ايضا مناسبة للدراسة ، ومراجعة الذات ، ومراجعة الواقع السياسي للأمة، ومناسبة للثورة على الطاغوت.

انه مناسبة للتعرف على الحاكمين ، ومعرفة « الأمير » الذي يتحكم بمصائر الناس؟

أتراه هو على شاكلة الامام ؟

أتراه يشبهه في الحكم ، ولو بصورة مصغرة ؟ اترى بيته يشبه الكوخ الذي عاش فيه الامام ؟

اترى ان حكامنا ، مثل الامام الذي طالما طوى الليالي جوعاً ليعيش أبناء الأمة في شبع ؟ وقام ببيع درعه ، لأنه ليس له ثمن ازار. أو قام ببيع سيفه ، لأنه ليس له ثمن عشاء؟

هل هم على شاكلة الامام الذي كان يعزل واليا كبيراً من ولاته، لأن امرأة واحدة اشتكت منه ؟

هل هم على شاكلة الامام الذي كان يذهب الى بيت المال وينظر الى الدينار والدرهم هناك ويقول :

« يا حمراء، ويا صفراء غري غيري »؟

ام هم عبدة الدينار والدرهم؟

.. بل هل حكامنا كتلميذ الامام علي (ع) في هذا العصر الامام الخميني الذي بيده قلوب الناس في ايران وارواحهم ، وتحت أمرته كل كنوز ايران ، ولكنه لا يملك بيتا شخصيا ، ويعيش في بيت مستأجر ، ويأكل الخبر واللبن فقط، ويقول للناس : « ان تقولوا لي أنا خادمكم أفضل من أن تقولوا لي قائد» ويرفض الظلم بأي نوع كان، ويرفض أن يخضع لأيّة قوة في الأرض، ولا يبيع كرامة المسلمين، واستقلالهم بكل ما في الأرض من أموال واملاك.

أن نعيّد في يوم الغدير، يعني أن نرفض الواقع التعيس الذي نعيش فيه.

أن نعيّد في يوم الغدير، يعني أن نشحذ ارادتنا ونعمم على الصمود في جبهة الحق لمواجهة جبهة الباطل.

ان نتولى الامام علي (ع) يعني ان نكون مثل سعيد بن جبير الذي واجه طغيان الحجاج بن يوسف الثقفي . وان نموت كما مات . فقد مثل امام الحجاج ، وناقشه مناقشة عنيفة ، قال فيها :

ـ انت على دين علي؟

فقال سعيد :

ـ دلني على دين احسن من دينه ، لكي اتمسك به .

فطلب منه التبري من الامام علي (ع) فرفض ذلك، وقال الحجاج : اذبحوه الى القبلة كما يذبح النعاج .

فقال سعيد :

ـ﴿ وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض ﴾.

فقال الحجاج : اقتلوه بخلاف القبلة . فقال سعيد ﴿اينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله ﴾

قال الحجاج :

« فاكبوه على وجهه ارضاً » .

فقال سعيد :

ـ﴿ منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى ﴾

* * *

فاذا عشنا صامدين في جبهة الحق. وقاومنا الباطل،

ومشينا خلف الامام علي (ع) اذن يتحقق لنا قـوله تعـالى:

﴿ اليـوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾.

الفهرس

الوجه الآخر للإمام علي ٥
ثورة الإسلام ثورة الإمام ١١
لمن حمل السلاح؟ لمن حمل غصن الزيتون ٣٧
يوم الغدير مناسبة للتغيير ٥٧
الفهرس ٧١

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٨٠٦٢
التاريخ ٢٠٠٦/٣/٢٩